

## سقوط صفد

محمد هشام العظم

هذا جزء من مذكرات عن حرب فلسطين ١٩٤٨ يعدها الكاتب العسكري العربي محمد هشام العظم الذي اشترك في هذه الحرب كضابط في جيش الانقاذ ثم شغل بعد ذلك العديد من المناصب العسكرية في الجيش السوري .

### مقدمة :

وقد يكون لكل موضوع عدة أشكال من العرض لا تختلف باختلاف وجهات النظر المتفاوتة بحسب ، وانما باختلاف طرق العرض أيضا . وان أدت بالنتيجة الى هدف واحد . وما دامت الذاكرة هي مرجع الاثنين معا فليعذرني الاخ جادو اذا أضفت شيئا ، او نفيت أشياء ، او ركزت على أمور لم يتطرق اليها في مقاله .

### تهييد :

دخلت فلسطين في منتصف شهر كانون الاول سنة ١٩٤٧ . مع سرية أدلب . وكنت معاونا لأمير السرية الرئيس الاول (الرائد) عبد الغفور حميدان . وقد تشكلت هذه السرية من عناصر عسكرية سبقت لها الخدمة في جيش الشرق أيام الفرنسيين في سورية . وقد جمعها السيد غالب العياشي نائب ادلب وأتى بها الى معسكرات قطنا . حيث كنا فيها ندرب هؤلاء المتطوعين الوافدين اليها من كافة الاتحاء السورية والعربية . وبما ان هذه العناصر كانت لها خدمة عسكرية سابقة ، فقد اكتفت القيادة بتوزيع التجهيزات والاسلحة والذخيرة عليها . وأمرت بتشكيلها نظاميا بعد التحاقها بها ، ثم طلب منها التحرك بها غورا للاتحاق بفوج المقدم أديب الشيشكلي في الجليل .

وبعد ثلاثة أيام كانت السرية مستحكمة تشكيلها وتجهيزاتها واسلحتها وعتادها . فتحررت سياراتها الى الحدود اللبنانية ، حيث رافقها ضابط ارتباط لبناني الى مرجعيون . ومنها تقدمت الى صيدا وصور ثم الى رميش وهي قرية لبنانية على الحدود الجنوبية . حيث ترجمت السرية وتابعت سيرها على الاقدام مستعينة بدليل كان ينتظرها

اطلعت في العدد ٢١ من مجلة شؤون فلسطينية على مقال كتبه الاخ جادو عز الدين حول سقوط صفد سنة ١٩٤٨ . وبالرغم من أن الكاتب قد دعا في مقاله جميع الاحياء ممن حضروا المعركة او شاهدوا المناساة الى المبادرة لتوضيح ما غمض عليه . ولتصحيح ما أغفلته الذاكرة . فقد رأيتني مستجيبا لهذه الدعوة بدافعين : اولهما : انني كنت ممن خاضوا غمار هذه المعركة ، لا بل كنت في قلبها ، اي في قلب المدينة لا خارجها . وثانيهما : دافع الحقيقة والتاريخ . فلا بد من اجلاء الامور ولا بد من توضيح المسائل .

وأراني مضطرا الى الاعتراف بأن اعتيادي على الذاكرة في هذا الموضوع كان كاعتياد الاخرين عليه . ولكن شهود العيان هم دائما أذكر للشاهد وأكثر معرفة بالحوادث ومجرياتها ، بحكم وجودهم فيها ، ومعاناتهم لها .

على هذا التقدير فقد اغنانا الاخ جادو عزالدين في الشرح بما شاهده ووقف عليه خارج المدينة . فأتى على ذكره بأسهاب وتفصيل لا يحتاجان الى مزيد . وان كانت لنا عليه بعض الملاحظات كما سيأتي .

وعلى هذا الاساس فأنني ادعو القراء الى معاودة الاطلاع على مقال الاخ جادو عز الدين على سبيل استكمال المعرفة لا على سبيل المقارنة . لانه قد أتى في شرحه على كثير من الامور في داخل المدينة أيضا ، بما يتوجب على المشاهد ان يذكرها على حقيقتها خدمة للتاريخ .